تذكرة الأجل وتطاولت الأخبار حتى ضعف موسى عليه السلام فسمع ملكا رضي الله
عنه أسرارا لا أهيئه لأحد منا أنه منه بمنه وكرمه والله أعلم وسألته رضي
الله عنه عن قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت فإن علماء التفسير رضي الله عنهم
اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا وذكر له بعض ما قاله فقال رضي الله عنه لا أفسر
لكم الآية إلا بما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له لنا في تفسير هذه الآية على
فقال رضي الله عنه إن ملائكة الله تعالى يعلمون بالأمر الكائن على
تفسير عنه لا يقع والكتابة الإشارة يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت يقع ويكون الإشارة
بقوله ويثبت يعني أن الخواطر المتعلقة بالأمور المستقبلة كنزول مطر وحدوث قل
ذلك وزمنه فإذا تصور ما يحتمل وهو المحو ومنه ما يجب بإتمامه وهو المثبت وعنده
تعالى أم الكتاب وهو العلم الذي لا يتغير لا يتغير أصلا هكذا فسر هذا النبي صلى الله
عليه وسلم فأعيته وأخرج ما سمعت من غيره وذلك أني كنت سمعت منه إلا بلا
تفسير آخر لكل ما أفهم فيه من حقائق غير قابلة والله أعلم وقد سألته
رضي الله عنه عن قوله تعالى وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
هل تدل الآية على نبوة السيدة مريم وهل قال قبل مريم نبوة غيرها كآدم وموسى
وإلياس إلى آخرهم وعيسى وشاء وهاجر وحواء صحيح أم لا فإن من العلماء من ذهب
إلى الأول ومنهم من ذهب إلى الثاني ومكى بعضهم الإجماع عليه في السيدة مريم فيكون
غيرها آخر ومنهم من توقف كالشيخ الأشعري رحمه الله تعالى وأهل السنة والجماعة واستدل
الأول بأن الملائكة لا تنزل إلا على النبي عليه السلام وقد صرح الآية بنزولها على
مريم وجعلوا هذا إقرارا بأن النبي والولي فيما لم النبي ينزل عليه الملك والولي
يلهم ولا ينزل عليه الملك فقال رضي الله عنه الصواب مع أرباب الأقوال الثاني
وهو نفي النبوة عن نوع النساء ولم تكن لله نبوة في والله النوع أبدا وإن كانت مريم
يقينا والنبوة والولاية وإن اشتركتا في أن كلا منهما نور وسر من أسرار الله عز وجل فنور
النبوة متباين لنور الولاية وقد أفتيت أنه لا يدرك على التحقيق إلا بالكشف غير أن
نور النبوة أقل ذاتي فيفيض بملك مع أنه في أصل تقسيمها وإدراك النبي معصوما
في كل أحواله ونور الولاية بخلاف ذلك فإن المخلوق عليه إذا نظر إلى ذاته من حيث قوة كيانه
ترى ذاتا كثيرا الخواص وإذا نظر إلى ذات من حيث نبيا يرى نور النبوة في ذاته لا تلحقه

الأولى

وأي تلك الذات مطبوعة على أجزاء النبوة السبعة التي سبقت في حديث أم هانئ
إلى وإن انزل على سبعة أحرف فيكون ما هنا مطبوعا على قول أحمد ولو كان نمرا وعلى
أنه لا يجيئه معه ملك وإنما تكون معه تلقيه وعلى الرحمة الكاملة وعلى معرفة الله
عز وجل على الوجه الذي ينبغي أن تكون العرفة عليه وعلى الخوف الناشئ منه عز وجل
خوفا يشترك فيه الخوف الباطني بالخوف الظاهر حتى يبدو له الخوف في سائر أعواده
وعلى بعض الباطل بعضا عند الجهل وعلى العقول الكاملة حتى تصل من ولقمه وينفع من
ضرر فيها ذه هي خصال النبوة وأجزاؤها السبعة التي نظمها عليك ذات النبي
قبل الفتح وبعده وأما ذات الولي فإنها قبل الفتح مرحلة الذوات ليس فيها شيء إذا جاء
بلاد الفتح عليها جاءتها الأنوار فأنوارها عارضة وإذا كان الولي غير معصوم قبل الفتح
وبعده وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعروجه فليس بجامع لأن العروج
عليه سواء كان نبيا أو وليا لأنه إن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هي عليه وبما يسمع
وبما يشاهدونه وكل من قال أن الولي لا يشاهد الملك والملائكة فذلك دليل على أنه غير مفتوح
عليه قلت وكذا قال الحاتمي رحمه الله في الفتوحات المكية في الباب الرابع والستين
وثلاثمائة ملخصا جماعة من علماء بما منهم الإمام أبو حامد الغزالي في قوله في الفرق بين
النبي والولي أن النبي ينزل عليه الملك والولي يلقى ولا ينزل عليه الملك قال والصواب
أن الفرق فيما تنزل به الملك فإن الذات هي الذات بالإلهام وقد جمع
بعضهم هذه الشيء بعقبة العقل وقد ينزل عليه بالبشرى من الله وأنه من رحمة السعادة والإمام
كما قال تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال وسبب غلط هؤلاء المتكلمين
أنهم علموا أن الله يسلم كم تعبيرا ينزل عليهم ملك فظنوا أنه لا ينزل على غيرهم ولا
ينزل أصلا على ولي ولو سمعوا من نفسه قوله على ولي رجعوا عن قولهم لأنهم يصدقون
بكل ما قاله الأولياء وقد رجع لغزالي جماعة كانوا يعتقدون خلافه اهـ ملخصا وإذا فهمت
كلام الشيخ رضي الله عنه في الفرق السابق علمت أن استحقوته الحاتمي رحمه الله في الفرق
غير ظاهر لأن حاصله أن الولي لا ينزل عليه الملك بالأمر والنهي مجملا النبي وليس كذلك
فإن الولي ينزل عليه الملك بالأمر والنهي ولا يلزم منه أن يكون ذا شريعة كما في فتنة
من يرى جاء الملك نزل عليه بالأمر ليست بنبي كما سبق ولو فتشنا ما سمعناه من الشيخ
رضي الله عنه في هذا الباب لكان لنا تفسير ومعهد الإشارة غير ما يفتش إلا
إذا احتيجت إلى ذكر هنا أمر آتيه من علوم الشيخ رضي الله عنه أحد هل بعض ما يشاهده